نقابة المحامين
بيروت
النقيب

أمّا، في قلوبنا والذاكرةِ، فَستَبْقى

قالوا: قضى وجدي،

فقلتُ: أُغْمِدَ رمْحٌ، وناحَ أرزٌ، وغاضَ فُراتُ، وأَنَّ لبنانُ.

بسوادٍ تَلَفَّحَ الزملاء النقباء والمحامون؛ وقصورُ العدل عَراها شعور كئيب.

وتَلَفَّتَتِ العيونُ تَسْتَطْلِعُ؛
والقلوبُ، حُزْناً حتى الوجدِ على وجدي، تَوَلَّهَتْ؛

أمّا الآذانُ، فراحت تُلملمُ من زوايا المحاكم، وحنايا القاعات، صوتَ مَنْ صَدَحَ منذ سبعينَ من الأعوام، وصَدَعَ النزاعاتِ بالحقِّ، لا يقولُ إلاّهُ، يتكلَّمُ به جهاراً، ولو تصَدَّعَتْ لجرأته السماءُ، ولو تَشَقَّقَتْ لعِناده الرواسي، ولو أَحْدَقَتْ بحياته المُتْلفاتُ المهالكُ.

هو ابنُ شاعرِ الأرز، شبلي الملاط، فلا يلينُ ولا يهون.

أبوه مَنْ يَصِفُ نَفْسَه وقومَه وبنيه، فيقولُ:

أنا فِلذةٌ صخريَّةٌ مقطوعةٌ
من ذلك الجبلِ الأشَمِّ الراقي

أنا جذْعُ لبنانَ القديمِ، فما ذَوَى
ورَقي، ولا لَوَتِ الشدائدُ ساقي

أخَذَ الشعرِ وجدي والأدبَ عن والدٍ وعمٍّ، القاضي الشاعر تامر الملاّط. وعنهما أخَذَ الصراحةَ والجراءةَ والبيان.

وأخَذَ عن بني عمّه وأبيه سرعة الفِطنة، والذّكاءَ المتوقِّد، والعصَبَ المشدود، وحدَّةَ الفـؤاد، واضطرامَ المشاعر،

فقلوبُهم، أبداً، قلوبُ ملوك؛ وبأسهم، أبداً، بأسُ فرسانٍ رحّالين لرفع الظلم، ووفـاؤهم، أبـداً، وفاءُ سَمَوْأل.

من مُروءات فتانا والمآثرِ، حِذقُه اللغتين العربيةَ والفرنسيةَ، اللتين تعادلتا على لسانه ويراعـه، فَقَنَصَ جائزةَ كأس الفصاحة باللسان الفرنسي. مثلما نال جائزةَ الشرف باللغة العربية.

بَدَأَ عبقريُّنا تدرُّجَهَ في مكتب المحامي، العبقريّ يوسف السّودا، في العام ١٩٤١، وأكْمَلَ تَمَرنَهُ في مكتب الفقيه العلاّمة، إبن الفقيه، العلاّمة الشيخ إدمون كسبار.

فَتَحَ مكتباً مستقلاً في العام ١٩٤٩

إنْتُخِبَ، في العام ١٩٥٥، عضواً في مجلس نقابة المحامين.
في العام ١٩٦٥، عُيِّنَ وزيراً للعمل والشؤون الإجتماعية، في مستهَلِّ عهد الرئيس شارل حلو.
وكانت له وقفاتٌ مشهودةٌ من تطهير الإدارة والقضاء.

في العام ١٩٧٢، إنتُخِبَ نقيباً للمحامين، فأحدثَ أعرافاً وتعديلاتٍ حفاظاً على سـرّ المهنـة، ورفعاً لمستوى المحامين المتدرجين.

عندما قررت الأمانة العامة لإتحاد المحامين الدولي عقد إجتماع عام لها في إسرائيل في العام ١٩٧٣، وجد وجدي-ذاك النقيب اللبنانيُّ الملاطي – أن القرار يمسه في الـصميم فـانتفض، وحدَه دون سائر نقباء العالم والعرب، وإشتعل قلبه واللسان، فتـدفق بركانـا يقـذف حممـا ويستنهض هِمماً ويستنزل الحجج، فيقنع إتحاد المحامين الدولي بإلغاء الإجتماع المقرر إنعقاده في ديار العدو.

في العام ١٩٧٤، إنتُخِبَ وجدي الملاّط أولَ رئيسٍ للمجلس الدستوري. إلاّ أنهُ مـا لَبِـثَ أن إستقالَ بعد ثلاث سنوات، معتبراً " أن المجلسَ الدستوريَّ أُنشىءَ في لبنان قبلَ أوانه، وأن البلدَ لم يَبْلُغْ بعدُ، في سيرورته السياسية وفي تطوّره الديمقراطي، ما يُتيحُ له اقتبال قضاءٍ دستوري مستقلّ".

وإذْ بَصُرَ الغروبَ يدنو، آثَرَ النِسْرُ المُلاَّطيُّ الإحتجابَ، وهو من ملأ الدنيا دَوِياً، مَنْ أذهلـتِ البَدْوَ والحَضَرَ أغاريدُ فصاحاته والبلاغات، وأنْشَتِ الأجيال موسوعاتهُ الثقافيةُ ومطارحاتُـه السياسية، وإطلالاتُه على الآداب العالمية، ومجالسُ الأدب والمنادمةِ والمذاكرةِ والمؤانسة.

وما يَتَنافر منها من منظومات ومنثورات، مَنْ تتذكرُهُ قصورُ العدل في لبنان محاميـاً باحثـاً، لاهثاً، متوغِّلاً الى الأعماق، يَنْشُدُ الوضوحَ في الفكر، والدقّةَ في القياس،

والسّداد في الرأي، والصراحة في التعبير النشيط الأخّاذ، إذِ البحثُ القانونيُ والعمليُّ لا يَنْفـي الإخراج الفَنّيَّ في عرضه.

حتى صحّ فيه قول الشاعر ريمون عازار:

كمْ كُنتَهُ السيفَ، لا ينفكُّ ممتشقاً
حرّاً، لتحسمَ، حين الحقُ يطّهدُ

قصرُ العدالةِ كمْ ألهَبْتَ ساحتهُ
أنت الكميُّ، العصيُّ، الرائدُ الغَرِدُ

تحني المحاكمُ، إن رافعتَ، هامتها،
وقولك الفصلُ، تُستفتى، فيُعتمدُ

حضرةَ النقيب المرتحل،

حنانَكَ يا ابن شبلي، يا أبا شبلي، كيف يسهلُ عندكَ أنْ تغادرَ نقابةً كنت أحدَ مداميكها والبُناة؛ أن تهجرَ المحاماةَ التي بالعزّة والعنفوان حاميتَ عنها؛ أن تَسْحبَ ظلّكَ من قاعات المحـــاكم، فيَخْرسَ صوتٌ من شهامةٍ ونُبْلٍ نُحاسُهُ؛ كيف يهونُ، عندَكَ، ياعالماً من قِيَمٍ وشِيَمٍ توارى، أنْ تُفارقَ إلى دنيا سَبَقَكَ إليها أهلونا!

وإن بكتك المحاماة اليوم، إلا أنها تتعزى بالأبن الشبل داعية لك بالرحمة وله بالعزيمـــة فـــي متابعة الطريق في النضال، والدفاع عن الحق والكرامة والأنسان.

ألا اطْبَعْ، يا نقيبُ، يا حبيبُ، في دارِ الخُلْدِ، قُبلةَ على وجنةِ نقيبٍ آخَرَ، وحبيبٍ حبيب !

أما في قلوبنا والذاكرات فَستَبْقى.

أيها الراحل الكريم،

لقد نفذتَ الى الأعماق، ومن الأعماق أرثيك.

ما لفكّ الموتُ، بل لقد ضمّك الأبدُ
ليس الضريحُ هنا، بل دارُكَ الخلدُ.